منارات

manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الدار للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

www.almadasupplements.com

العدد (5200) السنة التاسعة عشرة - الاربعاء (8) حزيران 2022

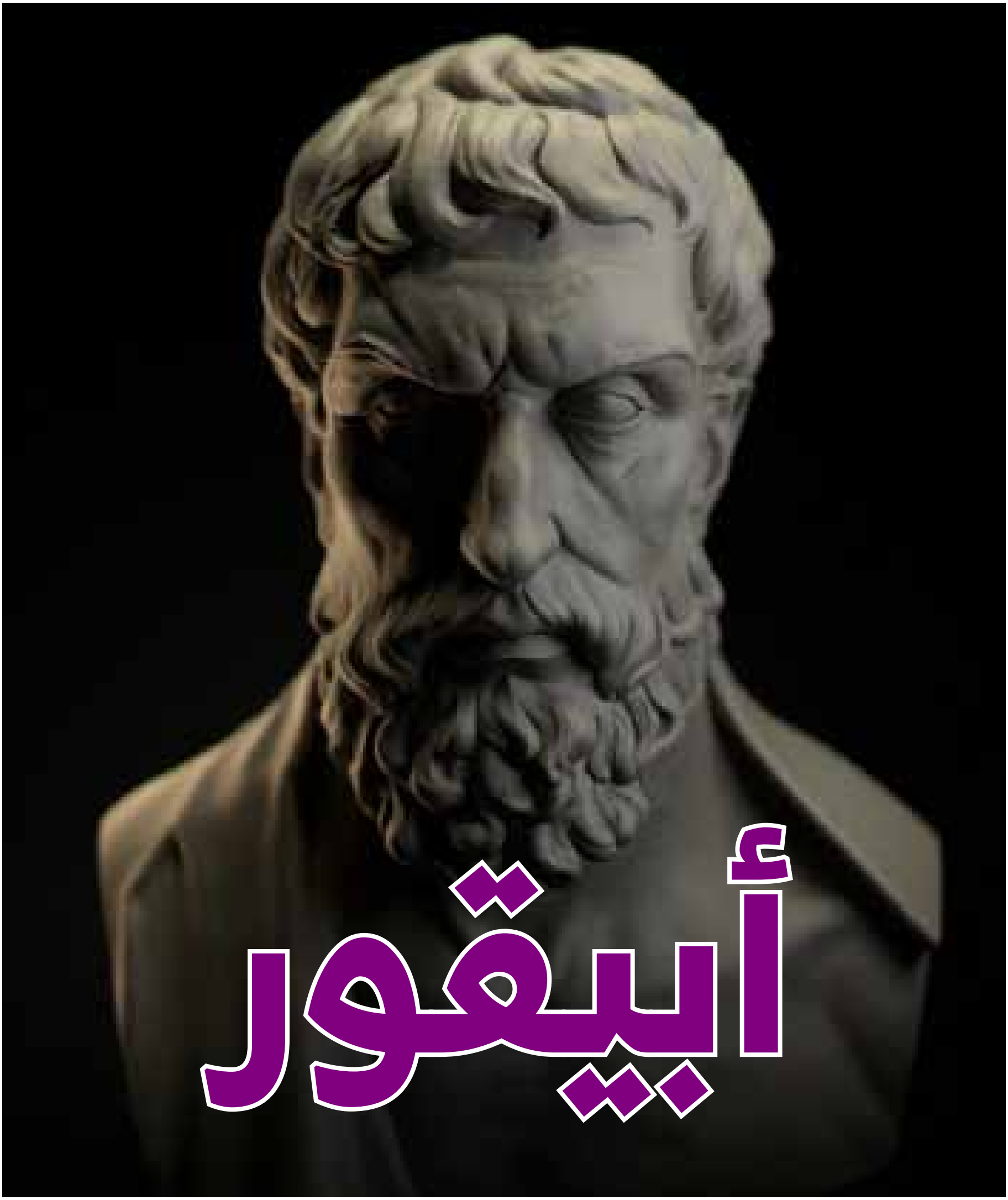

أبيقور

درب الحديقة - أبيقور

نايجل واربرتون

ترجمة: أحمد زياد

تخيل جنازتك. كيف ستبدو؟ من سيكون فيها؟ ماذا سيقولون؟ لا بد أن ما تتخيله هو من منظورك الخاص. يبدو الأمر كما لو أنك ما زلت موجودًا هناك تشاهد الأحداث من مكان معين، أو ربما من الأعلى، أو على مقعد بين النادبين. الآن، يعتقد بعض الناس أن هذه إمكانية جدية، أننا في وسعنا بعد الموت أن نبقى على قيد الحياة خارج الجسد الفيزيقي باعتبارنا نوعًا من الروح التي قد تكون قادرة حتى على رؤية ما يجري في العالم. لكن بالنسبة إلى من يعتقد منا أن الموت ختامي، فثمة مشكلة حقيقية. في كل مرة نحاول فيها تخيُّل أننا غير موجودين، فعلينا فعل ذلك عبر تخيل أننا موجودين، ونشاهد ما يجري في حين أننا غير موجودين.

سواء أكنت قادرًا على تخيل موتك الخاص أم لا، فيلوح أنه من الطبيعي كفاية أن تكون في الأقل خائفًا قليلًا من عدم الوجود. من ذا لن يخاف من موته الخاص؟ إن كان ثمة أي شيء ينبغي لنا أن نكون قلقين حياله، فهو هذا بالتأكيد. يبدو معقولًا تمامًا أن تغتمّ حيال عدم الوجود حتى لو كان هذا سيحصل بعد سني عديدة. إنه أمر غريزي. قلة من الناس على قيد الحياة لم تفكر قطّ في هذا عميقًا.

جادل الفيلسوف اليوناني القديم أبيقور (270-341 ق.م) أن الخوف من الموت كان مضيعة للوقت ومبنيًّا على منطق فاسد. لقد كان حالًا ذهنية ينبغي التغلب عليها. إن فكرت في هذا بوضوح، فليس على الموت أن يكون مرعبًا ألبتة. متى ما فكرت تفكيرًا سليمًا، فإنك ستستمتع بوقتك هنا أكثر بأضعاف – وهذا ما كان شديد الأهمية لأبيقور. كانت غاية الفلسفة، كما اعتقد أبيقور، أن تجعل حياتك أحسن حالًا، أن تساعدك على إيجاد السعادة. يعتقد بعض الناس أن الإسهاب في التفكير في موتك الخاص أمر مروع، غير أن هذا بالنسبة إلى أبيقور كان سبيلًا تجعل بها العيش أشد كثافة.

وُلد أبيقور في جزيرة ساموس اليونانية [شرق] بحر إيجه. أمضى غالب حياته في أثينا حيث صار شيئًا أشبه بشخصية معبودة، يجذب جماعة من التلاميذ الذين عاشوا معه في كوميون (بصورة حميمية)(1). تضمنت الجماعة نساءً وعبيدًا – وهذا ظرف نادر في أثينا القديمة. لم يجعله هذا ذا شعبية سوى بين تلاميذه الذين عبدوه تقريبًا. أنشأ مدرسته الفلسفية في منزل ذي حديقة – ولذا عُرفت هذه المدرسة باسم الحديقة.

مثل عديد من الفلاسفة القدماء (وبعض الفلاسفة الحديثين، مثل بيتر سنجر: انظر الفصل الأربعين)، اعتقد أبيقور أن الفلسفة إنما يجب أن تكون عملية. يجب أن تغير النحو الذي تعيش عليه. لذا كان مهمًّا لهؤلاء الذين انضموا إليه في حديقته أن يطبقوا فلسفته بدلًا من تعلمها فقط.

كان مفتاح الحياة لأبيقور هو إدراك أننا جميعًا إنما نسعى إلى اللذة. أهم من هذا، أننا نتجنب الألم متى ما كانت لنا القدرة. هذا ما يسيّرنا. اطّراح المعاناة من حياتك وزيادة سعادتك سيحسّن من حال حياتك. لذا كانت أمثل طريقة للعيش هي كالآتي: فليكن لك نمط حياة بسيطة، وكن لطيفًا مع هؤلاء الذين من حولك، وأحط نفسك بالأصدقاء. بهذه السبيل ستكون قادرًا على إرضاء غالب رغباتك. لن تكون بذلك متروكًا في حال من الاحتياج إلى شيء ليس في وسعك نيله. ليس حسنًا أن يكون لديك توق مستميت إلى تملّك قصر إن كنت لن تحوز المال أبدًا لشراء واحد. لا تصرف حياتك كاملة على العمل سعيًا منك إلى الحصول على شيء من المحتمل أن يكون مجاوزًا لنطاق قدرتك أيًّا ما كانت الحال. من الأفضل بأشواط أن تعيش بطريقة بسيطة. من السهل إرضاء رغباتك إن كانت بسيطة، وحينها سيكون لديك الوقت والطاقة كي تستمتع بالمهم من الأشياء. كانت هذه هي الوصفة للسعادة، وهي معقولة إلى حد كبير.

كانت هذه التعاليم شكلًا من العلاج. كانت بغية أبيقور أن يعالج تلاميذه من الألم العقلي، وأن يقترح كيفية يمكن من خلالها لألم أن يصير محتملًا بتذكّر اللذائذ الماضية. أشار إلى أن اللذائذ ممتعة في وقتها، لكنها كذلك أيضًا عندما نتذكرها بعد ذلك، لذا فهي يمكن أن تكون ذات منافع لنا تدوم طويلًا. عندما كان يُحتضَر وفي شيء من المشقة، كتب إلى صديق عن الكيفية التي استطاع بها أن يلهي نفسه عن مرضه عبر استعادة المتعة التي كان يشعر بها من محادثاتهم في الماضي.

هذا كله يختلف بما فيه الكفاية عن ما تعنيه كلمة 'أبيقوري' اليوم. إنها على النقيض تقريبًا. فلان 'أبيقوري' يعني شخصًا يحب أكل الطعام الفاخر، شخصًا يسترسل في الترف واللذة الحسية. لقد كان لأبيقور ذوق أبسط بكثير مما يفيده هذا. لقد علّم عن الحاجة إلى الاعتدال – أن تذعن للشهوات الجشعة سيخلق فقط المزيد والمزيد من الرغبات، ولذا في نهاية المطاف سينشئ هذا الألم العقلي الشديد والتوق غير المشبَع. هذا النوع من الحياة المتركز في الرغبة في المزيد والمزيد يجب أن نتجنبه. هو وتلاميذه كانوا يتغذون على الخبز والماء بدلًا من الطعام غير المعتاد ألبتة. إن بدأت تشرب النبيذ الغالي الثمن، فإنك قريبًا جدًّا ستنتهي إلى الرغبة حتى في شرب نبيذ أغلى ثمنًا، وتقع في فخ التوق إلى أشياء تعجز عن امتلاكها. مع هذا، ادعى أعداؤه أن أبيقوريو كوميون الحديقة قد أمضوا معظم وقتهم يأكلون ويشربون ويمارسون الجنس بعضهم مع بعضهم الآخر في لهو معربد باستمرار. هكذا سار المعنى الحديث لكلمة 'أبيقوري'. إن كان حقًا أن تابعي أبيقور فعلوا ذلك، فإن هذا يشذ تمامًا عن تعاليم قائدهم. من المحتمل أكثر أن هذه إنما كانت إشاعة حقودة.

من الأشياء التي أمضى أبيقور وقتًا طويلًا بالتأكيد في ممارستها هي الكتابة. كان خصب الإنتاج. تشير السجلات إلى أنه كتب ما يضارع ثلاثمئة كتاب في لفافات من البَردي، مع أن شيئًا لم ينجُ من هذه اللفافات. ما نعرفه عنه عادة مصدره الملاحظات التي كتبها أتباعه. تعلّموا كتبه بقلوبهم، لكنهم نقلوا تعاليمه إلى صورتها المكتوبة. نجا بعض لفافاتهم في مجموعة شذرات محفوظة في الرماد البركاني الذي سقط على هركولانيوم بالقرب من بومبي عندما ثار جبل فيزوفيو. ومصدر آخر مهم أيضًا للمعلومات عن تعاليم أبيقور هو القصيدة الطويلة في طبيعة الأشياء التي كتبها الفيلسوف الشاعر الروماني، لوقريطيوس (Lucretius). تلخص هذه القصيدة المنظومة بعد أكثر من مئتي سنة من موت أبيقور التعاليم الأساسية لمدرسته.

إذًا للعودة إلى السؤال الذي طرحه أبيقور، لمَ ليس عليك أن تخاف من الموت؟ سبب أول أنك لن تختبَر الموت. لن يكون موتك شيئًا يحدث لك. لن تكون موجودًا عندما يقع. رَجْع صدى مثل هذه النظرة فيلسوف القرن العشرين لودفيغ فتجنشتين عندما كتب في رسالته المنطقية الفلسفية: «ليس الموت شيئًا يحدث في الحياة». الفكرة هنا أن الأحداث أشياءُ نختبرها، غير أن موتنا الخاص هو انتزاع إمكانية الخبرة، لا شيءٌ لاحق يمكننا أن نعيه ونختبره فنظل على قيد الحياة بعد ذلك بطريقة ما.

يلمع أبيقور إلى أن غالبنا عندما يتخيل موته الخاص، يخطئ في ظنّ أن شيئًا سيظل موجودًا بعده يجعلنا نشعر بأي شيء يحصل للجسد الميت. لكن هذا سوء فهم لحقيقة ما نحن. إننا مربوطون بأجسادنا المحددة ولحمنا وعظمنا المحددين. كانت نظرة أبيقور أننا مكوّنون من ذرات (مع أن ما عناه بهذا المصطلح كان يختلف قليلًا عن ما يعنيه العلماء الحديثون). متى ما تفككت هذه الذرات عند الموت، فإننا نعود غير موجودين باعتبارنا أفرادًا قادرة على الوعي. حتى لو اضطلع أحد بضمّ جميع الأجزاء معًا بحذر لاحقًا، ونفخ الحياة في هذا الجسد المعاد بناؤه، فلن يكون شيئًا ذا صلة بي أبدًا. لن يكون الجسد الحي الجديد هو أنا، مع أنه يبدو مثلي. لن أشعر بآلامه، إذ متى ما كف الجسد عن العمل، عجز أي شيء عن إرجاعه إلى الحياة. سيُفك حينها وثاق الهُوية(1).

كانت الطريقة الثانية التي اعتقد أبيقور أنه يستطيع من خلالها أن يعالج أتباعه من خوفهم من الموت أن يشير إلى الاختلاف بين ما نشعر به إزاء المستقبل وما نشعر به إزاء الماضي. إننا نهتم بواحد ونتغاضى عن الآخر. فكر في الوقت الذي سبق ولادتك. كان كل هذا الوقت الذي لم تكن موجودًا فيه. ليس فقط الأسابيع التي كنت خلالها في رحم أمك عندما كان ممكنًا أن تولد مبكرًا، ولا حتى ذلك الحين قبل أن تحبل بك وعندما كنت مجرد إمكانية لوالديك، إنما تريليونات السنين التي سبقت وجودك. لا نغتمّ عادةً بعدم الوجود طوال كل هذه الآلاف من السنين قبل ولادتنا. لمَ على أحد أن يهتم بكل هذا الزمان الذي لم يوجد فيه؟ لكن بالتبعية، إن كان ذلك صوابًا، لمَ علينا أن نكترث كثيرًا بكل هذه الدهور التي نكون فيها غير موجودين بعد الموت؟ إن فكرنا غير متماثل. إننا متحيزون كثيرًا تجاه الاغتمام بالزمان الذي سيلي موتنا بدلًا من الزمان الذي سبق ولادتنا. غير أن أبيقور اعتقد أن هذا كان خطأً. بمجرد أن ترى هذا، ينبغي لك أن تبدأ التفكير في الزمان الذي سيلي موتك بالطريقة نفسها التي تفكر من خلالها في الزمان الذي سبقه. بعدها لن يكون هذا الأمر ذا شأن بالغ.

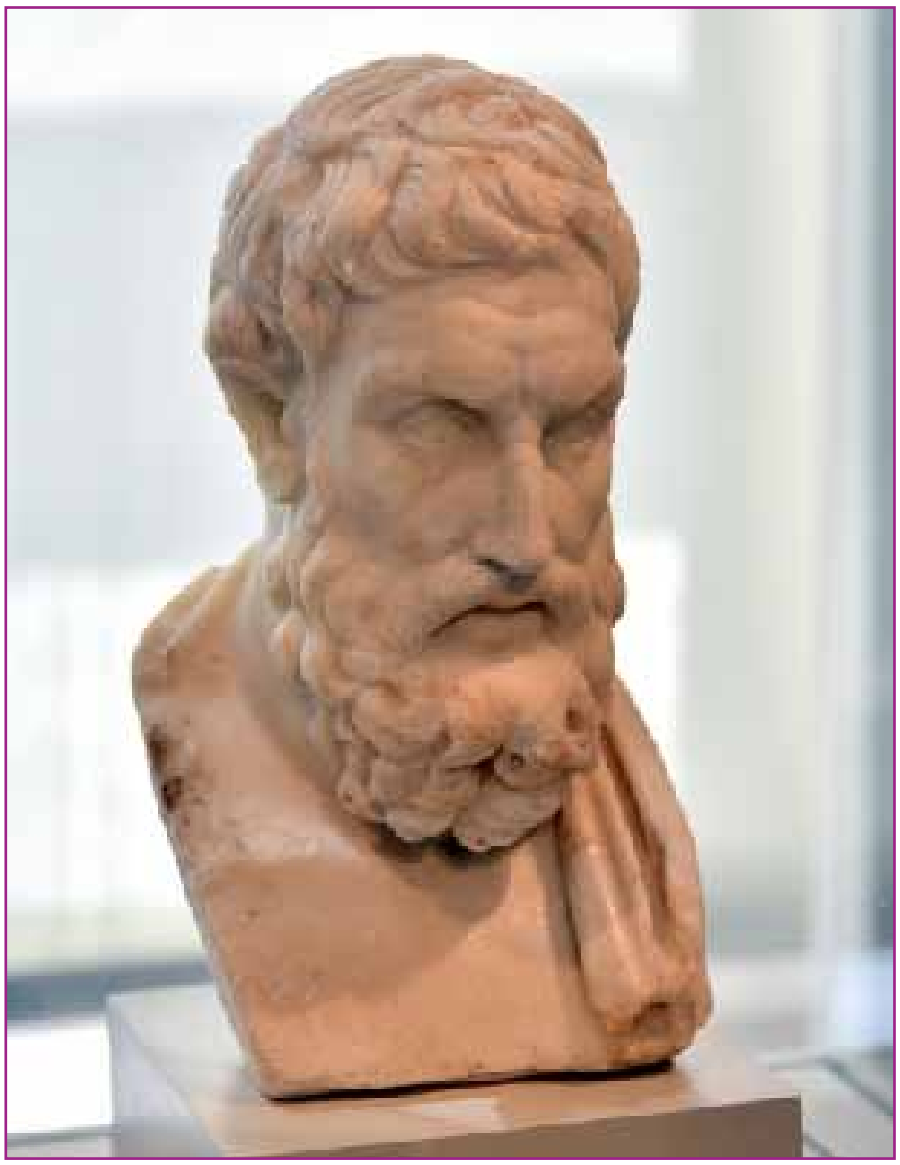

يقلق بعض الناس كثيرًا من أنه قد يُعاقَب في الحياة الآخرة. رفض أبيقور هذا القلق أيضًا. ليست الآلهة بمهتمة بخلقها حقًا، كما أخبر أبيقور أتباعه واثقًا. إنها توجد بمنأى عنا، ولا تُعنى بالعالم. لذا عليك أن تكون على ما يرام. هذا هو العلاج – مزيج من هذه المحاجّات. إن أُجْدَت، فينبغي لك الآن أن تكون في حال استرخاء أعظم بكثير إزاء عدم وجودك المستقبلي. لقد لخص أبيقور فلسفته كاملةً في نقش ضريحه:

'لم أكن موجودًا، كنت موجودًا، لست موجودًا، لا أبالي'

إن كنت تعتقد أننا مجرد كائنات فيزيقية، مكونة من المادة، وأنه لا وجود لأي خطر عقاب جسيم بعد الموت، فقد يقنعك استدلال أبيقور أن موتك ليس شيئًا يدعو إلى الخوف. قد تكون ما زلت قلقًا بشأن عملية الموت ما دامت غالبًا ما تكون مؤلمة وتُقاسى حتمًا. هذا صحيح حتى لو كان غير معقول أن تقلق من الموت نفسه. تذكّر مع ذلك أن أبيقور اعتقد أن الذكريات الجيدة قد تسكّن الألم، لذا فقد كان عنده جواب حتى عن هذا. لكن لو كنت تظن أنك نفس في جسد، وأن النفس يمكن أن تنجو من الموت الجسدي، فمن غير المحتمل أن يجدي معك علاج أبيقور: سيكون في وسعك أن تتخيل استمرارك موجودًا حتى بعد توقف قلبك عن النبض.

لم يكن الأبيقوريون وحدهم من فكروا في الفلسفة كنوع من المداواة: لقد فعل ذلك غالب اليونان والرومان. كان الرواقيون، بخاصة، مشهورون من جراء دروسهم عن الكيفية التي تكون بها صلبًا سيكولوجيًّا في مواجهة الأحداث التعِسة.

أبيقور في «رسالة إلى ميناسي»: السعادة واللذة كل لا ينفصل

«فيلسوف الحديقة» يلقي علينا دروسه في العيش عبر ألوف السنين

إبراهيم العريس

إذا كان أفلاطون (428 - 348 ق.م.) قد أسس مدرسته "الأكاديمية" ودرس فلسفته فيها، وأرسطو (384 - 322 ق.م.) أسس مدرسته "اللوكيوم" ودرس بدوره فيها فلسفته، فإن خليفتهما أبيقور (342 - 371 ق.م.) لم يتردد هو الآخر في تأسيس مدرسة إنما في حديقة ملحقة ببيته الفسيح في أثينا الذي أُطلق عليه اسم الحديقة، ما جعل كثراً يطلقون على مدرسته الفلسفية اسم "فلسفة الحديقة". وحتى لو بدا الأمر مستغرباً، فإن هذا الاسم جاء متلائماً تماماً مع المضمون المضمر لتلك الفلسفة، التي ستعرف إلى الأبد بكونها فلسفة اللذة، وبالتالي "فلسفة السعادة" على اعتبار أن صاحب الشأن نفسه، أصر دائما على أن غاية الحياة القصوى إنما هي السعادة، وما تحقيق رغبات اللذة سوى الطريق الأصح لبلوغ السعادة الحقة.

قال أبيقور هذا في العدد الأكبر من كتاباته التي لم يصلنا كثير منها، مع أن ديوجين الـ "لإرثي" في كتابه العمدة حول حياة الفلاسفة الإغريق، يؤكد أنها بلغت ما يزيد عن ثلاث مائة نص. والحقيقة أن ما بلغنا من تلك النصوص العديدة التي يبدو أنها تشكل نتاج حياة بأسرها، لم يزد عن أربعة نصوص لعل أشهرها، وأقصرها على أية حال، "رسالة في السعادة" التي تُعرف عادة بـ "رسالة إلى ميناسي" على اسم تلميذ لأبيقور وُجهت الرسالة إليه، لكننا في الحقيقة لا نعرف عنه سوى أنه المرسَل إليه، وكونه بالتالي واحداً من تلاميذ الفيلسوف المفضلين، وإلا لما كان خصه بذلك النص العميق الصائب، الذي عاش رغم صروف الزمن، مستقلاً في ذاته على عكس مئات النصوص الأبيقورية الأخرى، التي لم نعرفها إلا من طريق يوجين الـ "لإرثي"، أو من طريق استكمال تلامذة أبيقوريين لها، هم الذين تتلمذوا في "الحديقة"، وعرف معظمهم ذلك الأستاذ الكبير عن كثب.

مهما يكن في الأمر، يمكننا أن نفترض بالاستناد إلى تلك الرسالة كما بالاستناد إلى ما وصلنا بالتواتر، أن خلاصة فكر أبيقور ومبادئ تلك الفكر موجودة في الرسالة التي تنطق بما يمكن اعتباره أسمى آيات الحكمة. بل حتى في تلك المبادئ الأربعة التي يطلق عليها في الإغريقية عنوان "الرباعية الشافية"، وهي تلخيص التلخيص لفكر أبيقور؛ وهاكم ترجمتها إذ أتت على شكل نصيحة حكيمة موجهة إلى ميناسي ومن خلاله إلى كل الناس، "أولاً، لا تشغلوا بالكم بآلهة الأولمب؛ وثانياً، لا تخشوا الموت؛ وثالثاً، افهموا دائماً أن الخير سهل المنال دائماً؛ ورابعاً، إن الألم محدود دائماً في كثافته وديمومته". ويرى أبيقور أنه إذا سار الإنسان على هدي هذه المبادئ، لن يكون من العسير عليه بلوغ السعادة من طريق لذة تحقيق رغباته، ولكن من هو "الإنسان" الذي يعنيه أبيقور هنا؟

كل إنسان. فلئن كان أفلاطون وأرسطو السابقين عليه قد اكتفيا باجتذاب المريدين من صفوة الذكور الأثينيين الأقحاح، فإن أبيقور، وهذا أمر مدهش تماماً، فتح حديقته لكل من شاء أن ينتمي إليها بما في ذلك أبناء وبنات الفئات التي كانت ممنوعة من ارتياد الأكاديمية واللوكيوم، بل أي مجتمع أثيني آخر، النساء، والعبيد، والأغراب. وبهذا يكون أبيقور قد تماشى مع تلك الأريحية، التي طبعت فكره ومبادئه دون موارية، ما يجعله واحداً من أوائل الفلاسفة «الديمقراطيين» حقاً في التاريخ.

غير أن من يقرأ نصوص أبيقور مباشرة أو بالتواتر، لن يشعر بأية دهشة إزاء ذلك الفكر الذي إذ ينطلق من نزعة "فردية" لا مراء فيها، يجد في تلك النزعة ما يبرر الانصراف عن المبادئ الجمعية القامعة، التي بجمعيتها تلك توصد الأبواب أمام من لا ترتئي الجماعة إمكانية أن يكون منتمياً إليها. وبالتالي يصبح كل فرد بالنسبة إلى أبيقور إنساناً يحق له مهما كان انتماؤه أو أصوله، أن يمارس إنسانيته على هواه شرط ألا يحدث أي ضرر بالآخرين. ففلسفة أبيقور هنا فلسفة أخلاقية أولاً وأخيراً، لكنها لئن كانت تنادي بالوصول إلى السعادة من طريق لذة تحقيق الرغبات، فإنها لا تفتح الأبواب واسعة جداً أمام تلك الرغبات. بل على العكس من ذلك، إن الوصول إلى السعادة يشترط حصر الرغبات بما هو ضروري منها. وهذا ما يقوله لنا أبيقور في رسالته إلى ميناسي حيث يفيدنا بأن هناك نمطين من الرغبات واحد منهما فقط يوصلنا تحقيقه إلى اللذة وبالتالي إلى السعادة، فانطلاقاً من مبدأ ثابت لدى الفيلسوف. – ولنتذكر هنا أن اسمه باليونانية، وهو أبيقوروس يعني "ذلك الذي يعطي الآخرين" – فحواه أن العطاء أكثر عذوبة من الأخذ، بمعنى أن الحكيم الذي يضبط أموره على قياس ما يلزم حقاً للعيش، يجد لذته في أن يعطي للآخرين ما هو فائض عن حاجته، أو ما يشكل إبقاؤه لديه عبئاً على عيشه. هذا الحكيم لن يسعد بالأخذ من الآخرين ما ليس في حاجة إليه بقدر ما يسعده ذلك الكنز الذي يجده في الإكتفاء الذاتي.

من الواضح أن كل مبادئ أبيقور إنما تنبع من هذه الصورة، التي لن تعني في نهاية الأمر سوى تحديد الرغبات بما هو لازم للحياة لا أكثر؛ فإن تمكنا من هذا، سنصل إلى تلك السعادة التي تمثل أسمى ما في الحياة. ولنعد هنا إلى النوعين من الرغبات اللذين أشرنا إليهما قبل سطور، نمط يمثل رغباتنا في الوصول إلى ما نحن فعلاً في حاجة إليه، وآخر يمثل رغباتنا في الحصول على ما هو أكثر من هذا. وفي هذا السياق يورد أبيقور مثلاً، حين تكون عطشاً يكون أمامك حلان، إما أن تسد عطشك بكوب من الماء، وإما أن تسده بكأس من مشروب فاخر. كل من الحلين يمثل رغبة توصل إلى سعادة ما بالطبع. والمطلوب هنا بالطبع هو تحقيق سعادة إزالة العطش من طريق مشروب ما. فإذا كانت الطريقتان تسفران عن نتيجة واحدة. لماذا تراك ستتبع الرغبة الأصعب وأمامك الرغبة الأسهل والأقل كلفة؟ واضح أن أبيقور يبدو هنا كمن يقول لنا إن القناعة كنز لا يفنى. بيد أن الأمر أعمق من ذلك كثيراً، حين نطبق المبدأ على كل نواحي العيش، وعلى كل الرغبات التي تحركنا واللذات التي نتطلع إليها في وضعية من الواضح أن غايتها القصوى الوصول إلى السعادة.

هنا لا بأس من الإشارة إلى أن التاريخ لم يحفظ لنا سوى جانب ثانوي من فكر أبيقور، يمكن القول إن هذا الأخير ليس هو المسؤول عنه، بل متابعوه السطحيون من الذين حولوه إلى نوع من مبدأ لذة يقوم على إرضاء الرغبات، بصرف النظر عن التحليل الذي يرد حول هذا الأمر في نصوص أبيقور نفسه. ومن هنا رُبطت الأبيقورية بنوع من "هيدونية" (نظرية تقوم على مبدأ اللذة، علماً بأن كلمة هيدون نفسها في اليونانية تعني لذة)، مجانية تنسب إلى أبيقور من دون أن تكون لها تلك الحيثيات التي تقف بالتعارض التام مع مجانية النظرية... ومن هنا الحاجة ماسة دائما لقراءة تلك الرسالة، التي تشرح مبادئ أبيقور في تضاد كلي مع ما هو رائج عنها.

ولد أبيقور في مدينة ساموس على الشاطئ الشرقي لبحر إيجه، وهي نفس المدينة التي شهدت مولد فيثاغورس قبله بأكثر من قرنين. وقد توجه بعد ذلك ليدرس في أثينا، حيث لا شك أنه ارتاد حلقاتها الفلسفية قبل أن يؤسس "حديقته"، غير أن الحديقة والمدارس المماثلة لها سرعان ما نُفيت إلى ساموس، ما أعاد أبيقور إلى مسقط رأسه، ولكن إلى مدينة تقع إلى الشمال منها هي كولوفون التي درس فيها ردحاً قبل أن يتركها إلى لامبساك ثم يعود عام 306 ق.م. إلى أثينا حيث سيعيش بقية حياته وينتج معظم نصوصه...

عن الاندبندت عربية

أبيقور وفلسفته التي أسيء فهمها

يعقوب أفرام منصور

كنتُ ابنَ ستة وعشرين ربيعًا حين علمتُ، بوجود فيلسوف إغريقي يُدعى أبيقور(341 ـ 270 ق.م) وبمدرسته الأبيقورية من خلال القاموس العصري لألياس أنطون ألياس ط 1944، وبأن جوهر فلسفته هي أن سعادة الإنسان تتاتى عن طريق العيشة الفاضلة. وانصرمت بضعة عقود على معلومتي هذه، لكن في العقدين الأخيرين تواردت عن هذا الفيلسوف وتعليمه آراء وتعريفات ـ تُغاير المعلومة الأولى التي رسخت في ذهني وقيّمتُها أول مرة في عام 1952 ـ من خلال نعوت وخصائص ومقولات لم ترُقني ولم أرتضِها. فقاموس ألياس العصري ط 1974 أورد عن الأبيقورية كونها (فلسفة جوهرها: محاولة جعل الحياة سعيدة عن طريق المعرفة مع الملذّات!) ص 240. وفي قاموس "المنجد في الأعلام ص 25 ط 1988 لبنان"، ورد (أبيقوري تعني: الدعوة إلى الإستمتاع بالملذّات المعنوية.). أما معجم " المورد الوسيط ص 205 "، فالأبيقوري هو" المنغمس في الملذات الحسّية "! وفي هذا المعجم عينه يرد: (أبيقوري: هو الذوّاقة والمتأنّق في المأكل والمشرب)! ونظير ذلك ورد في معاجم إنكليزية. وفي قاموس إنكليزي ـ عربي ضخم بمجلّدين قديم مطبوع في لبنان في أواسط القرن التاسع عشر، ورد في ص 302 منه عن الأبيقورية:" تمتع النفس باللذّات البدنية"! فلبِثتُ ردحًا نافرًا من هذه التعريفات المشوّهة غير الصائبة بعد التعريف الأول الذي رسخ في ذاكرتي، وقيَّمتُهُ.

ولما تهيأ لي مؤخّرًا الرجوع إلى "الموسوعة العربية الميسّرة"، عثرتُ في المجلد الأول ص 43 على هذه المعلومة التي ارتحتُ إلي فحواها. نوعًا ما. عن أبيقور: [فيلسوف يوناني، عرّف الفلسفة بأنها فن إسعاد الذات بالمتعة العقلية. وهي الخير الأوحد. إستقرّ في أثينا حيث اشترى الحديقة التي ارتبطت في تاريخ الفلسفة بأكاديمية أفلاطون وبلوقيون أرسطو. فلسفته أخلاقية، أساسها لذّة التأمّل التي لا يعقبها الألم. وقد أُسيء فهمه، فقيل إنه يدعو إلى الملاذ، على نقيض مذهبه]. لكنّ شبكة الأنترنت أمدّتنا بمعلومات وفيرة عن الموضوع، منها هذه الفقرات:

– ألّف زهاء 300 عمل، لكن معظم ما وصل إلينا منها أجزاء ورسائل، وما بلغنا من فلسفته مستمَد من تابعيه وبعض المؤرّخين، ومن هذه النصوص التي حفظها ديوجين اللايرسي، رسالة موجّهة إلى هيرودوت (المؤرّخ والرحّالة اليوناني) في موضوع الطبيعيّات؛ ورسالة موجّهة إلى فيتوكليس في الآثار العلوية؛ ورسالة موجّهة إلى ميناقايوس في الأخلاق؛ و121 فكرة في ملخّص المذهب.

– كانت غاية الفلسفة عنده: هي الوصول إلى الحياة السعيدة والمطمئنّة، ولها خاصّيتان: الطمأنينة والسلام، والتخلّص من الخوف. وهذا يعني غياب الألم، وتوفّر الإكتفاء الذاتي، محاطًا بالأصدقاء. وعنده السعادة والألم مقياس الخير والشر، والموت هو نهاية الجسد والروح، ولهذا لا ينبغي أن نرهبه. وأن الآلهة لا تكافئ أو تعاقب البشر، وأن الكون لانهائي وأبدي، وأن أحداث الكون تعتمد أساسًا على حركات وتفاعلات الذرّات في الفراغ. تعليقي على هذا النص: يُلاحَظ هنا إعتقاده أن الآلهة لا تُكافئ ولا تعاقب البشر، وأن الموت هو نهاية الروح أيضًا كما هو نهاية الجسد، أي هو لا يؤمن بالحشر والحساب والعقاب والنعيم، ولا بخلود الروح في العالم الآخر. فهذا الإعتقاد ليس مستغربًا من مواطني الشعب اليوناني الوثني نظير الشعوب الوثنية المشركة الأخرى قبل ظهور عقيدة التوحيد البادئة بإبراهيم أبي المؤمنين ثم الأنبياء والرسُل. أما خلود الروح بعد الموت، فكان أفلاطون من القائلين بذلك.

– 2 –

– مذهب أبيقور في اللذّة، بحسب قوله هو (إنها – بديهيًا – خيرٌ يشعر به الإنسان، كما يشعر أن النار حارّة، وان الثلج أبيض. فاللذّة بداية الحياة السعيدة وغايتها. بالنسبة إلي، لا يمكنني أن أتصوّر ما هو خير إذا استبعدنا ملذات الطعام والحب وكل ما يُمتع العين والأذن. اللذّة التي نقصدها هي التي تتميّز بانعدام الألم في الجسد، والإضطراب في الجسد. وبمجرّد أن تتحقق لنا هذه الحالة حتى تهدأ كلّ عواصف النفس، ولن يكون على الكائن الحي أن يسعى إلى شيء ينقصه. عندما أوجَد، لا يوجَد الموت، وعندما يوجَد الموت لن أكون موجودًا).

– كان للمدرسة الأبيقوريـة مكانة في تاريخ الفكر الإنساني، فقد عمّت حوض البحر الأبيض المتوسّط، حيث مراكز الفكر والثقافة والمعرفة في أنطاكية والإسكندرية ونابولي وروما في القرن الثاني قبل الميلاد، كما عُرفت في روما في عهد مؤسسها، وقد أشار إليها الخطيب الروماني الشهير شيشرون (106 43- ق.م) في بعض خطبه، وظلّت مزدهرة في هذه المراكز الحضارية إبان القرنين الأولين الميلاديين، وبعدهما أخذت في التفكك والإنحسار تدريجًا، لتحلّ محلّها المبادئ والتعاليم المسيحية من خلال مؤسساتها الكنسية التي سادت الفكر الأوربي في القرون الوسطى (n 15 5). لكن مع مستهل النصف الأول من القرن 17 لوحظت بوادر إحياء الأبيقورية مع ظهور فلسفة ديكارت العقلانية. إذ الباعث على هذا الإحياء كان ظهور (غاسندي) الذي وضع (النظرية الحسّوية) للمعرفة الأبيقورية مقابل (ديكارتية الأفكار الفطرية)، ونَصَرَ نظرية أبيقور الذريّة بأن عدّ الإله علّة لحركة الذرّات، خلافًا لأبيقور نفسه الذي عزا ذلك إلى الجاذبية الأرضية، كما أنه رأى في الكون كلًا متماسكًا يتطلّب وجود إله كلّي القدرة ليوضّح قوامه وغائيته. وقد حاول (غاسندي) أن يوفّق بين دعوته الكهنوتية وتجريبيته المضادّة للديكارتية، والمتأثّرة بالأبيقورية. ويُلاحظ كذلك أن نفعيّة (بنتام) و (ستيوارت مل) قد تأثّرت، في جوانب منها، بالأخلاق الأبيقورية. وقد تكون الأبيقورية أول محاولة، في العالم الغربي، لتأسيس مذهب إنساني كامل.

– وبما أن لدى أبيقور مبدأين متفاوتين في شأن (الخير)، أحدهما يقول إن الخير يتم إختياره دومًا بالإرادة، والآخر يؤكّد أن كل لذّة خير وكل ألم شر، لكن لا يتم إختيار كل لذّة، ولا تحاشي كل شر بالإرادة دائمًا. فلكي يوفّق بين المبدأين، لجأ. نظير القورينائيين. إلى تمييزه موضوعَ الإرادة المتبصِّرة من الغاية التي هي موضوع الميل المباشر. فإذا كان الميل يحدو إلى اللذّة، فعلى التبصّر بالمقابل أن يزن عواقب كل لذّة. وهكذا تُهمَل اللذّات التي تجرّ فائضًا من الآلام، وتُتَحَمَّل الآلام التي تأتي بلذّات أكبر. ولهذا جعل أبيقور اللذّات على ثلاث مراتب: اللذّات الطبيعية والضرورية التي لا بدّ من إشباعها، كالرغبة في الأكل؛ واللذّات الطبيعية وغير الضرورية التي تطلب التنوّع في إشباع الحاجة، مثل الرغبة في تناول نوع معيّن من الطعام من دون غيره؛ وأخيرًا اللذّات اللاطبيعية واللاضرورية، كالرغبة في تاج، وهي رغبات فارغة باطلة. وهكذا فالحكيم هو من يعلم أن أعلى درجات اللذّة يمكن بلوغها بإشباع النوع الأول من الرغبات، أو بالأحرى، بالإكتفاء بالقليل واتلذذ بما تضعه الطبيعة المتبصّرة في تصرّفه.

– فالأخلاق الأبيقورية طائفة من التوجيهات التي تلجم الفكر عن الشرود، وتردعه عن تجاوز الحدود التي عيّنتها الطبيعة، والتقيّد بهذا المفهوم يوضّح العلاقة بين الفكرتين المحوريتين: اللذّة والطمأنينة. فطلب اللذّة يستتبع وجوبًا كل تلك التمارين العقلية: من تأمّل في الحد الطبيعي للرغبات، ومن حساب اللذّات، ومن تصوّر اللذّات الماضية أو المستقبلية التي يكون جانبها السلبي طمانينة النفس... وصفوة القول إن أبيقور إنسان فكّر بعمق حول تفسّخ الأخلاق وحول الصيغ المختلفة للهستيريات الجماعية، وأراد. من خلال رسالته إلى معاصريه. أن يبيّن لهم أن على الإنسان أن يكون سيّد قدَره.

– في صباه تعلّم على يد معلّم أفلاطون، يُدعى بامفيلوس. وبعد وفاة الإسكندر وانتهاء خدمته العسكرية تعلم على يد نوزيفاتوس الذي اتبع تعاليم ديموقريطس، وفي أثينا أسس المدرسة في عام 306، وبرغم تأثّره بمفكّرين أقدم منه

– 3 –

مثل ديموقريطس، لكنه إختلف معه في نقطة شديدة الأهمية، وهي مبدأ الحتميّة (ربما تعني القدَرية). فقد كان أبيقور ينكر هذا التأثّر، ويتهم الفلاسفة الآخرين بالخلط، ويدّعي أنه تعلّم ذاتيًا. ومات متأثّرًا بآلام الحصى في كليتيه ومرض الزحار. وقبل ساعات قليلة من وفاته في اليوم عينه، كتب إلى أحد أصدقائه في (لامباسكاس)، قائلا: [أكتب لك هذا الخطاب في يوم سعيد وهو أيضًا آخر يوم في حياتي....ولا يمكن أن يكون ثمة وصف لمعاناتي. ولكن بهجة عقلي التي تأتي من إعادة تأمّل جميع دراساتي الفلسفية، تخفف عني كل الآلام. أرجو منك الإهتمام بأطفال (متروردورس) بطريقة تليق بتفاني هذا الشخص من أجلي ومن أجل الفلسفة.] في خاتمة النص الإنترنيتي عن هذا الموضوع، وردت هذه السطور التقييمية والمنافحة عن أبيقور وفلسفته: [أنشأ أبيقور نظامًا فلسفيًا وأسلوبًا للحياة يستحقان إحترامنا، بل وولاءنا. ذلك النظام الحياتي الأبيقوري أغرى الآلاف لاتّباعه والإلتزام به في مجتمعات البحر الأبيض المتوسّط القديمة التي ظلّت متماسكة مئات السنين. ولكن منذ بداية مسيرته التعليمية لم تسلم رسالته من الإعتراضات ومحاولات التشويه من قبل فلاسفة أكاديميين وسلطات سياسية ثم دينية مسيحية. لم يحدث. برغم كل ذلك. أن هجر الأبيقوريون فكرَهم، أو أبدلوه بفكر فلسفي آخَر، بل على العكس كانت المدارس الفلسفية الأخرى تفقد طلاّبَها لصالح المدرسة الأبيقورية؛ لأنهم ببساطة وجدوا أن لهذا الفكر معنى حقيقي ومنطق متماسك. بينما في العصور الحديثة، حاول منتقدو أبيقور تقديمَه كإنسان كسول سطحي، عاشق الملذّات، غير أخلاقي، وفلسفته كتقليد سيء ملحد للفلسفة الحقيقية. في أيامنا هذه كلمة (ابيقورية) أصبحت تعني عكس مضامينها، فصارت حماسة تدّعي كلّ ما هو باهظ الثمن من طعام وشراب وملبوس أنيق. لذا، يُرجى منكم أن تحظوا بالشجاعة الكافية لتجاهل ألفي عام من الأفكار المسبّقة الخاطئة، وإعطاء هذا الفيلسوف القدر الذي يستحقّه.

السعادة في "حديقة أبيقور" إشباع للرغبات وموت لايخيف

ناهدة جابر جاسم

يقول الفيلسوف الألماني نيتشه" علينا اعتبار مختلف المدارس الفلسفية القديمة مختبرات تجريبية لأساليب حياتية متنوعة فكرا وممارسة كما يسعنا مطابقة نتائج تلك التجارب على حياتنا" إلحاح الإنسان في طلب السعادة وسط خيباته المتتالية وقلقه حيال متغيرات الحياة يجعلانه باحثا دائما عن مفاتيح النجاح في الحياة. في الديانات والتيارات الفلسفية المختلفة والتي رافقت تطور الإنسان ومنذ القدم تنقلت خياراته متماهيا بها متمردا عليها مازجا بعضها بالبعض الآخر لتلائم فكره وحاجاته. الأبيقورية من المذاهب الفلسفية القديمة التي يمكننا الاستعانة بها لنحيا في انسجام مع ذواتنا فلا نشعر بالغربة عن زمننا الحاضر. تعرضت هذه الفلسفة لتفسيرات تشويهية ومغالطات تاريخية من معارضين متزمتين دينيا وأخلاقيا لأنها تغوص في ابعد من أشباع غريزة الأكل والشرب والتمتع بلحظات الحياة الحسية, الى فلسفة حكيمة ينسجم فيها الآني مع الأبدي, والسعادة مع الأخلاق وحب الذات مع حب الآخر في اعتدال موزون. عام 306 ق.م انشأ ابيقور اليوناني في أثينا مدرسة تدعى "الحديقة" يرافقه فيها تلاميذه واصدقاءه لسنين طويلة, ذاع صيت "حديقة أبيقور" والتي دامت نحوا ثلاثة قرون الى جانب أكاديمية افلاطون ومدرسة ارسطو وفلسفة الرواقيين القائلة " ان كل شئ في الطبيعة يقع في العقل الكلي ويقبل مفاعيل القدر طوعا". تميزت "الحديقة" عن سواها بكونها كانت اكثر من مركز اختبارات وتبادل للمعارف وكانت تجمعا أخويا حياتيا لا يفرض تكاليف التسجيل والتعليم على المنتسيبين , بل يتكفل الأثرياء من أنصار الآداب والعلم بمساعدة المحتاجين وكان الرجل يختلط بالمرأة والصغار بالراشدين والعبيد بالأحرار.

اثر وفاة الاسكندر اهتزت المدن اليونانية خاصة أثينا، فلجأ المواطنون اليونانيون الى دائرة الاصدقاء يبحثون معهم عن وسائل الحياة الناجحة بعيدا عن نزاعات مدنهم متبعين نصيحة أبيقور للفرد بالعيش مختبأ غير آبه بالقضايا العامة ومن غير ان يتعرض للأمن و السلام. في قلب هذا التجمع كان أبيقور محترما كالـه وتعتبر كلمتـه الحقيقـة في حد ذاتها وكما قـال الشاعر الروماني لوكريس في قصيدتـه الفلسفية "من الطبيعة": "هذا انت ايها الأب مخترع الحقيقة". فالأيمان المطلق بكلمة المعلم ميز الابيقورية عن باقي المدارس الفلسفية القديمة التي هزتها المشادات وقسمتها المجادلات. بعد وفاة ابيقور تفرقت عقيدته في حوض المتوسط فنشأت مدارس عديدة خاصة في انطاكيا والاسكندرية وروما حيث ألهمت الأبيقورية أجمل الاعمال الادبية في اللغة اللاتينية ومنها (من الطبيعة للوكريس 98-55 ق.م). تحدد الأبيقورية مفهوم السعادة في بساطة: أن يكون الانسان سعيدا، أي ان يرى الواقع على نحو يلائم اعمق رغباته، لكن طالما انه لا يستطيع تغيير العالم فالأسهل له ان يغير نظرته الى العالم وطبيعة رغباته. لا يقدم أبيقور

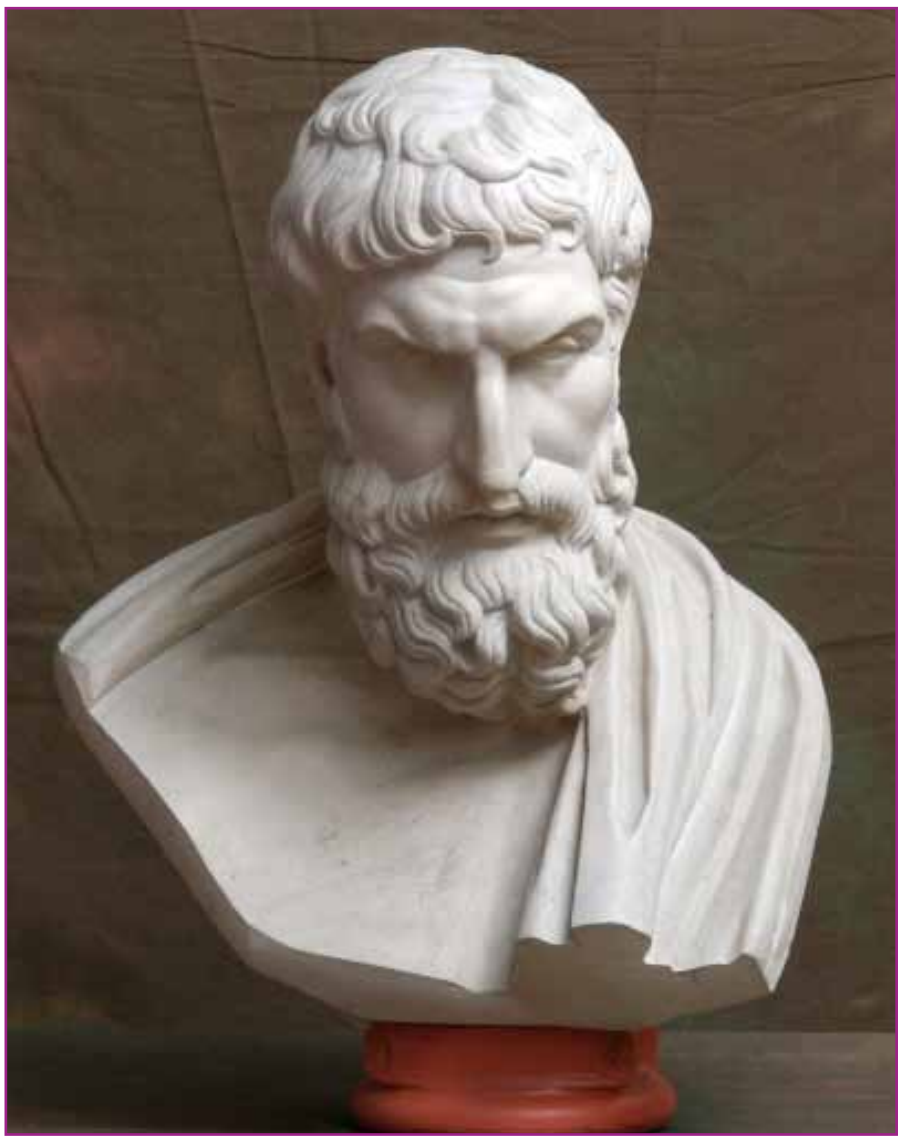

في مذهبه هدفا علميا و لا يدعي الفضول الفكري لكنه يحاول ان ينزع من فكر الانسان الأوهام و القلق ليدخل باب السعادة، فالخوفان الاساسيان و اللذان يقضان مضجع راحة الانسان يتصلان بالآلهة و الموت. يرى ان الانسان ينظر من ناحية الى الآلهة كقوى حافظة للكون ومسؤولة عن الفوضى التي تلم به، ويعتبر الموت من ناحية ثانية قصاصا الهيا او عدما مطلقا. وفي الحالتين يعتبر أبيقور نظرة الانسان خاطئة، ففي يقينه ان لا نظام يسير الكون الذي ليس جيدا و لا سيئا بل ولد نتيجة الصدفة لا نتيجة الضرورة. يستعين أبيقور في هذه النظرية بمذهب الفيلسوف اليوناني ديمقراط (460-370 ق.م) الذي قال " ان الواقع مصنوع من ذرات وفراغ و ان الحس لا يكشف لنا الا معرفة جزئية من هذا الواقع المادي". كما ان الموت ليس الا حالة مرحلية بين مجسمين للذرات. " العالم مسرح، الحياة مسرحية و انت تدخل، تشاهد، تخرج" في قول ديموقريط. فكرة خلق الكون من بداية ما تعتبر عبثية لدى أبيقور الذي قال " لا يمكن من اللاشئ أن يولد شئ". وهنا تتعارض فلسفة ابيقور مع معظم المذاهب الفلسفية القديمة التي أسست عقيدتها على علم الكونيات او الكوسولوجيا على غرار أفلاطون وأرسطو وبعض الفلاسفة الاخرين. (تحدد النظرة الافلاطونية رؤيتها الى العالم بأنه من صنع فنان ألهي طيب اراد تقاسم طيبته مع الجسام السماوية التي خلقها صافية ومنظمة ويحاول الانسان التشبه بها كي يحقق ذاته السامية).

يلتقي أبيقور في المقابل مع المادة العصرية و التفسير العلمي لبداية الكون: مطر من الذرات يهطل منذ ليل الأزمنة، حتى تختار ذرة واحدة الانحراف قليلا عن خط سيرها فتبدأ الصدامات وتتكون المجاميع التي قد يكون عالمنا انبثق منها. فكرة العالم ذات البدايات الهشة والذي قد ينقضي فجأة في وسعها ان تبعث الذعر في نفس الانسان كما في وسعها ان تفرحه لو اعتبر نفسه محظوظا بكونه جزء من الحياة. أن يفرح الانسان من لذة وجوده فتلك الحقيقة الاولى للحكيم. أما المبدأ الأبيقوري الثاني فينفي تدخل الآلهة في حياة البشر وتنتفي بالتالي ضرورة الديانات التي شوهت حقيقة الآلهة فصورتها مسيطرة ومتدخلة في قضايا البشر وتفاصيلهم الدنيوية. جعل أبيقور الآلهة مثالا أعلى للحياة البشرية وهم مكتفون بكينونتهم يعيشون في فضاءات خلوية ما بين العوالم، لا يعرفون البشر ولا يهتمون بهم ، مشجعا الانسان على تقليد الآلهة ليضحي بدوره الها بين البشر مكتفيا بسكينة قريبة من اللامبالاة كالتي عاشها أبيقور في "الحديقة" حيث علم تلاميذه مركزا على شعور الصداقة الذي ينبغي ان يسود بين البشر كما هو سائد بين الآلهة ، فهذا الشعور يولد الانسجام المريح على صورة الانسجام في الكون. والصداقة كون بشري أكثر تناغما من الحب الذي يغرق الحكيم في الوهم و الاضطراب و العزلة. الهدف الأخير الذي تصب فيه حكمة الأبيقورية الثالثة يتمحور حول عدم الخوف من الموت.

هذا الخوف الناتج من فكرتي الجحيم و العدم النابعتين من التأثر بالاساطير عامة وهوميروس خاصة. يقول أبيقور في بساطة: طالما انا حي فالموت ليس موجودا، وعندما يأتي الموت أصبح غير موجود. كما ان الموت في العمق لا يخيف انطلاقا من المد الأبدي للذرات غير الفانية حيث لاشئ يخلق و لا شئ يضيع netshaوكل شئ يتحول، لو استطاع الحكيم ان يكفر بذاته ويذوب في هذه الرؤية للخلود فيتساوى معها، لوصل حتما الى الغبطة الالهية محققا هدفه الأقصى. وبعد ان يتخلص الانسان من أوهامه ومخاوفه يدعوه المذهب الأبيقوري الى تحويل حياته بنزع السطحي عنها و الولوج الى العمق متخذا اللذة الذاتية حافزا للسعادة باحثا عن تحديد اللذة ومكامن وجودها. ما هي اللذة الحقيقية أذن؟ يلتقي ابيقور مع مذهب المتعية في تحديد اللذة عبر اشباع الشهوة ويتعارض معها في وضع اللذة في حالة "الراحة" أي فقدان الألم لان هذه الرؤية للذة هي الوحيدة التي تسمح لنا بالخروج من الدوامة العبثية التي تسجننا غالبا، أذ نتعذب لنفرح بلذة عابرة تذوي في كبت جديد يجر معه رغبة اخرى ثم ألما اخر، الى ما لا نهاية. قطف اللذة من اللحظة الآنية ليس هدف الأبيقورية ولا سبيل للخلاص من خلال توالي لحظات السعادة القصيرة، بل في تأمين الحد الاقصى من اللذة والأدنى من الألم بغية الوصول الى أمان النفس الشبيه بسكون موج البحر بعد هدوء الريح. يقسم أبيقور الرغبات التي يجب أشباعها انواعا، بدءا بالرغبتين الطبيعيتين والأساسيتين المحدودتين وهما الأكل والشرب، وتليهما رغبات طبيعية غير أساسية مثل فن تذوق الطعام، الفن والجنس، وهي لا تمنع الألم وتهدف الى التنوع في اللذة وعلى الحكيم عدم التفريط بهما منعا لضياعه. وتحل اخيرا اللذات الفارغة التي ليست طبيعية او اساسية كشهوات الغنى المادي والمجد والخلود التي على الحكيم التخلص منها. لو شاء الانسان تطبيق رغباته تلك فعليه ان يتبع اساليب عملية تساعد على تنظيمها في فرح من دون ان يشعر بقسوتها عليه، فيشرع اولا في حفظ تعاليم أبيقور الرباعية لنيل راحة النفس وتكرارها: " لا خوف من الآلهة، لا خوف من الموت، السعادة موجودة ومن السهل الحصول عليها، كما ان الألم سهل على التحمل". ثم يتابع الانسان هدفه نحو السعادة بالشفاء من السعي العبثي الى الزائد السطحي فيكتفي بالغذاء والملبس البسيطين ويرفض الامجاد الباطلة. لا يعتبر الأبيقوري نفسه متمردا اذ يحترم قوانين بلده ولا يعارضها ، فهي تشكل عنصرا من عناصر سكينته. وهكذا يبلغ السيطرة على ذاته واستقلاليتها ضمن اطار الصداقة التي يتناغم بها مع الاخرين. "تأمل في هذه التعاليم ليل نهار مع رفيق يشبهك، ولن تشعر بالاضطراب لا في اليقظة ولا في المنام بل تحيا الها بين البشر لان الذي يحيا في الخيرات الخالدة لا يشبه الانسان الفاني في شئ" يبدو ان الابيقورية وقعت كسائر الفلسفات القديمة في فخ التوق الى الخلود رغم كونها فلسفة واقعية وعملية تحاول التخفيف من قلق الانسان الوجودي والميتافيزيقي. رغم انها مهدت للنظرة المادية للوجود وتلتقي الفكر العلمي المعاصر فهي تقترب من البوذية التي تسعى الى التخفيف من تأجيج الرغبات لدى الانسان وحجب الألم عنه في عالم لا أمل منه في التغير، محاولة مصالحته مع ذاته والكون، مستوحية الكمال من القوة الأعظم منه، تلك القوة التي نستمد منها الخلود. أسئلة تلح في القلوب الشغوفة بالحياة: ماذا يفرق بيننا كبشر لو عم الاعتدال النفوس وخمدت نيرانها؟ هل الكمال ميزة الانسان؟ هل يبقى اثر للفنون والشعر والادب في ظلال الحكمة وعقلنة السعادة؟ قد يجد البعض أجوبة شافية عن اسئلة وجودية عميقة في غمار المذاهب الفلسفية القديمة ومنها الابيقورية التي تدهش بشمول فكرها وحداثته وحسه العملي الذي يلائم الانسان العصري في يومياته اللاهثة

عن الحوار المتمدن

صرخة أبيقور التي تلقفتها الفلسفة الحديثة

علي حسين

> إن الفلسفة التي لاتشفي آلام البشرية هي محض هباءٌ. فالفلسفة التي لا تبرئ الروح من معاناتها، لا تختلف عن طب لا يداوي الناس.
> أبيقور

حاول أن يفهم لماذا قال أستاذه بامفيلوس وهو يشرح أصل العالم " إن كل شيء أتى من العماء ".. وحين وقف كان السؤال الذي طرحه: " ولكن من أين أتى العماء؟ «.

كان أبيقور المولود سنة 324 قبل الميلاد في جزيرة ساموس، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره حين قرر أن يجد إجابات على ما طرحه معلمه من أسئلة لم يجد لها أجوبة لأنها حسب قول المعلم من اختصاص الفلاسفة فقط.. إذن ليدرس الفلسفة..كان أبوه معلماً يتقاضى راتباً بسيطاً، مما دفع أمه أن تعمل لتعيل العائلة، فكانت تبيع الأحجية وبعض الأعشاب الطبية لمعالجة المرضى..يسافر الى أثينا لحضور دروس الفلاسفة وكان في ذهنه مشروعين الأول البحث عن العماء.. والثاني تخليص العالم من هذا العماء..لكنه وجد إن النزاع شديد بين الفلاسفة، فقرر أن يسافر الى بلدان الشرق باحثاً عن إجابات لأسئلته دارساً الحكمة الشرقية.. وما أن بلغ الخامسة و الثلاثين من عمره حتى عاد ثانية الى أثينا حيث قرر أن يشتري بيتاً كبيراً وحديقة لينشئ مدرسة لتدريس الفلسفة، وكان الانضمام الى هذه المدرسة متاحاً للجميع الرجال والنساء.. الأغنياء والفقراء، وكانت يهدف من وراء مدرسته الى نشر أفكار عن عالم مثالي يعيش فيه الجميع بإخاء ومساواة.. وبعكس مدرسة أفلاطون التي كان يسعى صاحبها الى إنشاء جمهورية مثالية..كان أبيقور يبشر بمدينة شعارها " الاستمتاع بالحياة "..وكانت مدرسة أبيقور ترفع شعار المساواة فلا فرق بين التلاميذ وأستاذهم، ولاوجود للفروقات الطبقية..وكانت الحياة داخل المدرسة تتسم بالتقشف، فالطعام اليومي يقتصر على خبز الشعير والقليل من الجبن.. وكان الطعام الدسم محرماً داخل المدرسة لأنه يبعث على الأسى والألم يكتب أبيقور: " إنني أنتشي من خبزي ومائي..وإني لأعرض عن التوابل واللحوم ". وقد كان الخبز والماء والنبيذ هي مقومات الحياة السعيدة في نظر أبيقور.. أصبحت مدرسة أبيقور تسمى الحديقة.. كانت فلسفة أبيقور تدين لسقراط بالكثير من مفاهيمها، فسقراط كان أول فيلسوف يشير إلى أهمية التطبيق العملي للفلسفة باعتبارها تهدف الى تغيير حياة الإنسان، وأن تكون أولى غايتها الاهتمام به، ولهذا سعى أبيقور وتلامذته الى إثبات إن الوصول الى السعادة هو الهدف من الحياة، وكانوا يثنون على أهمية تحرر الإنسان من العبودية والتسلط والاضطراب. قال سقراط إن الرجل الصالح لايمكن أن يلحق الأذى بالآخرين..فمفتاح الحكمة هو إشاعة الخير والسلم بين البشر.

ولد أبيقور عام 341 ق.م، اهتم بالفلسفة وهو في عمر العاشرة حيث كان يحضر دروس الفيلسوف بامفيلوس، ولكنه أدرك عدم قدرته على الموافقة على كثير من الآراء التي كان يسمعها، فقرر بعد أن بلغ السابعة والعشرين من عمره أن يؤسس فلسفته الخاصة التي يؤكد فيها إن العالم لانهائي في إتساعه. ويحتوي على ذرات لانهاية لعددها وأشكالها.

اعتقد أبيقور أنه يجب أن تكون الفلسفة عملية. ويجب أن تغيير الطريقة التي نعيش بها. و تبعاً لذلك، كان مهماً أن يمارس مَن التحقوا به الفلسفة عوضاً عن تعلمها فقط. بالنسبة لأبيقور، كان مفتاح الحياة هو إدراك أن ما نسعى إليه هو المعرفة الممتزجة بالمتعة. و الأهم من ذلك هو تجنب نشر الشقاء بين الناس، ولهذا نجد إن أهم وصايا أبيقور لتلامذته:

- السعي إلى إلغاء المعاناة من حياة الناس.. إلغاء المعاناة من حياتك.
- نشر السعادة لأنها ستجعل الحياة أفضل
- العيش ببساطة، ليس مهماً أن تحصل على أشياء لاتحتاجها. إذا كانت رغباتك بسيطة فمن السهل تلبيتها و سيبقى لك الوقت و الطاقة للاستمتاع بالأمور المهمة في حياتك.

ويرى أبيقور إننا لن نستطيع العيش بسعادة ما لم نفهم العالم الذي نعيش فيه وندرك طبيعته، وبعبارة أخرى إننا يجب أن نعرف من نكون، ولماذا نعيش؟.. ولهذا يؤكد أبيقور إن بإمكان الإنسان أن يعيش سعيداً لو تحرر من الخوفين الكبيرين الذين يفسدان الحياة: الخوف من الآلهة والخوف من الموت.

قضى أبيقور كثيراً من الوقت في الكتابة. كان كثير الإنتاج. كتب حوالي 300 كتاب، رغم أنه لم يصلنا منها أي كتاب. ما نعرف عنه اليوم هو مستمد في أغلبه من كتابات تلامذته وأتباعهم فيما بعد. فقد كانوا يحفظون كتابات أستاذهم عن ظهر قلب و نقلوا تعاليمه عبر الكتابة. وكان أشهرها كتاب بعنوان " في طبيعة الأشياء " كتبه الفيلسوف الروماني لوكريتوس الذي عاش بعد وفاة أبيقور ب 200 عام.وفي هذه القصيدة – الكتاب – (ترجمه الى العربية علي عبد التواب علي) حيث يرى لوكريتوس إن شقاء الجنس البشري وانهيار أفكاره يرجع الى الخوف من تسلّط الآلهة والفزع من غضبهم، وهو يرى أن فلسفة أبيقور جاءت لتخليص الإنسان من تلك المخاوف، ومن ثم توطيد الإحساس بالطمأنينة في قلوبهم.

كان أبيقور يهتم بالأفكار والمعتقدات الخاطئة، وكان يرى أن معظم المشكلات التي تواجهنا لا تنبع من أحوالنا الفعلية أو الواقعية، وإنما من معتقداتنا الخاطئة عنها.

ورغم أن أبيقور يتحدث عن الآلهة، فإنه في كثير من الأحيان يرفض الأقاويل التي تذهب الى أن الآلهة تتدخل في الشؤون اليومية، وهو يرى إنه لادع لأن تتدخل الآلهة في عمل العالم الطبيعي.. وقد تبنى الأبيقوريون وعلى راسهم لوكريتوس لتفسير نشأة الحياة رأياً يشبه نظرية الانتخاب الطبيعي لدى سبنسر وداروين، كان أبيقور على حدٍ أحد المقربين منه يهدف الى المحافظة على الفكر قريباً من الواقع ومرتبطاً به قدر الإمكان، لأن ما يميز العقل إنه مكون من أشياء مادية على حد تعبير لوكريتوس.. ولهذا أنكر ابيقور إن للآلهة علاقة بخلق العالم الذي نعيش فيه، أو تقرير مصير البشر أو هدايتهم فالحياة كما قال ابيقور: إن هي إلا مهزلة، فيها من الجنون ما يستحيل أن يكون قد أبدعها عقل آلهي.فلا يوجد آله عاقل يأمر ببناء معبد تمجيداً له، ثم لايلبث أن يهدمه من أساسه بضربة صاعقة ينزلها به. وليست هناك عناية آلهية خيّرة تنقذ حياة صبي صغير من مرض خطير من غير سبب، اللهم إلا لتبعث به إلى ساحات القتال ليموت ميتة أشنع، فليعن الآلهة أذن بأنفسهم، ولنحاول نحن أن نقلدهم من غير أن نطلب منهم عوناً، أما خلاصنا فيتوقف على أنفسنا فحسب، لأننا نعيش في عالم خلق نفسه من خلال التقاء الجواهر الفردة، تلك الجزيئات من المادة التي تتحرك في أشكال لا حد لها، ولكن من غير ما ترتيب أو تخطيط ". وربما يسأل البعض كيف حدث أن أدى تجمع هذه الجزيئيات غير الموجهة من المادة معاً الى خلق عالم من الأشجار والطيور والحيوانات والبشر، وما نوع هذه العملية التي مكّنت الجوهر خلالها الى أن تُخرج الى الوجود فيلسوفاً مثال سقراط؟ يجيب أبيقور قائلاً: " إن ذلك يتم بجهل وبغير قصد خلال تطور المادة التدريجي من الأشكال الأولية الى الأشكال الأكثر تطوراً.خلال

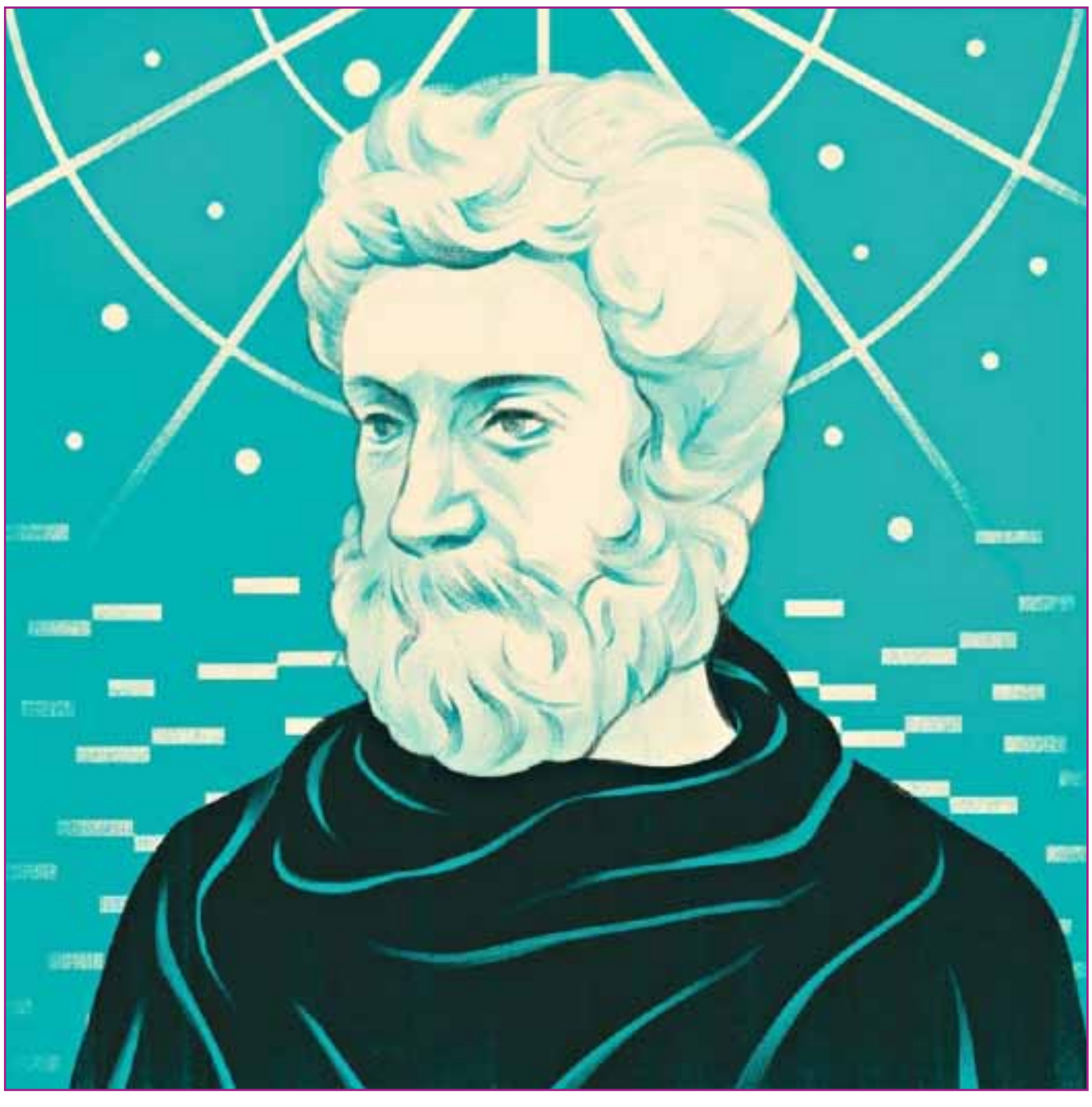

التخلص من غير الصالح والبقاء للأصلح.. إنها عملية النشوء والإرتقاء تظهر الى الوجود قبل داروين بأكثر من ألفي عام.

في كتابه طبيعة الأشياء يقدم لنا لوكريتوس نظرية أبيقور عن النشوء والارتقاء.. حيث يعلن أبيقور أن الأرض لم تكن في البداية سوى كتلة لاحياة فيها. لكنها بدأت تخرج بالتدريج بالحشائش والأشجار، ثم ما لبثت أن ظهرت الحياة الحيوانية وأخذت الطيور تطير في الجو والحيوانات تتنقل في الغابات. وقد تكيّفت بعض هذه الفصائل من الحيوانات لبيئتها، حيث تمكنت أن تبقى وتعيش، إما نتيجة لجسارتها أو لدهائها، على حين خلقت فصائل أخرى ضعيفة أو عمياء أو لاتستطيع المقاومة، وبرأي أبيقور إن تلك الفصائل ما هي إلا فلتات من الطبيعة، وضحايا تجربة عمياء في عالم لاخطة له، وهكذا كان مصيرها الانقراض، أما الإنسان ويصفه لوكريتوس بأنه الممثل الأول في مسرحية لاحبكة فيها، فانه آخر من ظهر على مسرح الأحداث، وقد عاش في البداية مثل الحيوانات الأخرى، يقتات على الأعشاب، وينام في العراء. وبعد فترة من الزمن اضطر الإنسان أن يتخذ من الكهوف مأوى له عندما وجد أن الحيوانات المفترسة تطارده..ثم قرر مجموعة من البشر أن يعيشوا في كهف كبير لدفع الأذى المشترك. وقد حدث بعد ذلك تطور تدريجي في الكلام والمشاعر والتعاطف وإنشاء مشاعر صداقة بدائية غير ناضجة. ولما رأوا صوراً غريبة في أحلامهم أضفوا على هذه الصور قوى خارقة وبدأوا يتخذون منها آلهة يعبدونها.. وتستمر قصيدة لوكريتيوس في كتابه " في طبيعة الأشياء " لتصف لنا الإنسان وهو يقف ممدود القامة وهو يحوّل أرجله الأمامية الى أذرع..ثم كيف أخذ يطوّع المعادن ليستخدمها في صناعة آلات والأسلحة. وهكذا أصبح أكثر قدرة على حماية نفسه وقتل الأعداء. وبدأت بعض الجماعات تتبادل البضائع والأفكار مع جماعات أخرى، وبهذه الطريقة تعلموا شيئاً فشيئاً فنون المقايضة والتجارة والملاحة والزراعة والشعر والموسيقى وهندسة البناء والسياسة والحرب.. ويصل لوكريتوس الى نتيجة نهائية يضعها على لسان أبيقور من أن العالم لم يتشكل إلا عبر عملية النشوء والارتقاء. حيث تمكن الإنسان أن يُكيّف نفسه لعام قاس، ويعيش حياته في تنازع اتبدب على البقاء، فليست الحياة إلا قتال متواصل من أجل هدف اسمى هو نشر السعادة والطمأنينة وإعلاء شأن الإنسان.

كتب في السنوات الأخيرة من حياته إنه منذ شبابه قرر الخروج على العرف القائم والدين المتعارف عليه بين البشر، ونجده يتحدث بزهو عن أفكاره التحريرية التي اعتنقها منذ أن كان شاباً: " ورثت عن والدي قوة خارقة على النفاذ الى علل الأشياء، فقد تهيأت لي قبل أن أجاوز دور الطفولة ومن غير أن أتعلم، بصيرة تنفذ الى العلاقات الغائبة المبكرة، لم تتهيأ لمن كانوا يكبرونني كثيراً في السن، ويفضلونني في الثقافة، وفي سن الثالثة عشرة شككت في نظرية القصور الذاتي كما جاءت في كتاب نيوتن الخاص بحركة الأجسام، والتي كان عمّي مدافعاً عنها.»

كان هربرت سبنسر المولود في إنكلترا عام 1820 أصغر إخوته السبعة، وقد توفوا جميعاً وهم في سن الطفولة، وتلقّى عن أبيه وعمه وكانا من المهتمين بالعلوم قليلاً من المعارف كالعلوم الطبيعية ودروس في الكيمياء، لكنه لم يدرس الفلسفة والآداب، وكان يفخر إنه لا يعرف قواعد اللغة الانكليزية، لكنه وجد متنفساً في دراسة الهندسة التي أهلته للعمل في سكك الحديد، عاش في وضع مالي: "لعل هروب النقود مني هو مبعث إصراري على أن أعيش أعزبا».

لكن الحظ حالفه بعد سنوات، فقد مات عمّه الذي أوصى له ببعض المال، فاعتزل العمل نهائياً وتفرغ للقراءة والكتابة. وقد خطرت له فكرة أن كتاباته هذه تصلح أساساً "لفلسفة علمية جديدة" سوف تُحدث انقلاباً في العالم.

كان سبنسر يردد دوماً بان الوجود إيقاع معاود الحدوث، ويحدّثنا عن أبيه الذي كان يعمل مدرساً بأنه "لم يخلع قبعته لأحد مهما كانت مرتبته "، رفض وصية والده بان يعمل مدرساً، فهو يهتم بملاحظة ظواهر علم الحياة، شغف بقراءة كتاب لوكريتيوس " في طبيعة الأشياء " الذي وجد منه نسخة قديمة في مكتبة عمه الذي قال له إن هذا الكتاب سيفتح أمامه أبواباً كانت مغلقة، فأعاد قراءته أكثر من خمس مرات، ليخرج منه بصياغة عبارة أصبحت هي السمة لعصره وأعني بها

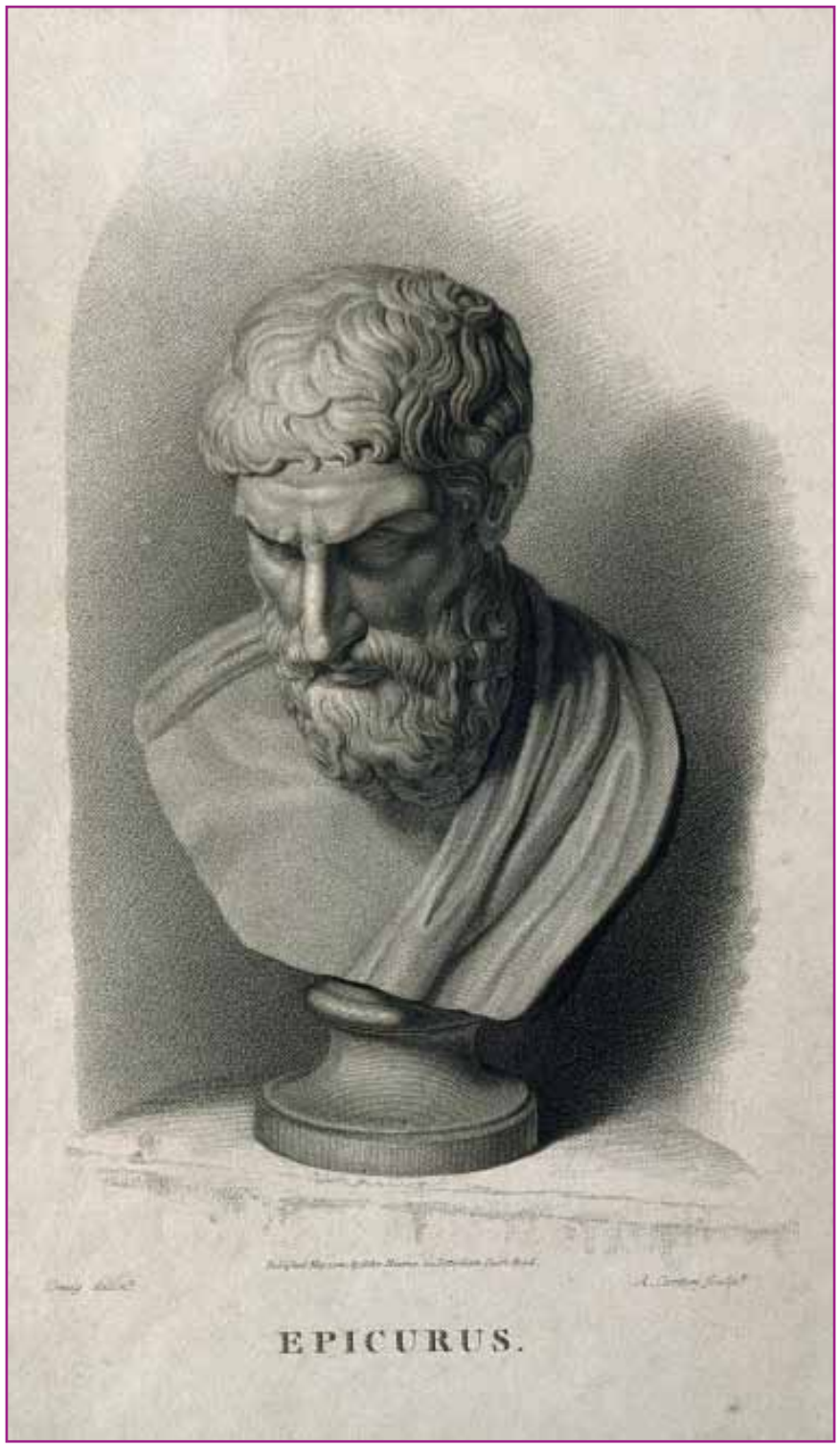

عبارته الشهيرة " التنازع على البقاء " والتي صاغ منها نظريته في التطور قبل أن يظهر كتاب تشارلز داروين بأكثر من سبع سنوات.

في عام 1845 وجد سبنسر نفسه مطروداً من العمل كمهندس للسكك، كان في الخامسة والعشرين من عمره. يكتب في مذكراته: " إنني سعيد لقد طردت من العمل، سأتفرغ للقراءة وأعود لحفظ فقرات من كتاب لوكريتيوس العجيب هذا " . بعد الطرد من الوظيفة بأسابيع وبمعاونة صديقه جورج هنري لويس، ينشر أول مقال له بعنوان "فرض التطور"، ناقش فيه كتابات عالم الأحياء الشهير جان لامارك. لقد أراد سبنسر إحياء فكرة لامارك عن التطور والتي جوبهت برفض شديد من الكنيسة ورجال الدين، وفي مقاله "فرض التطور" يسعى جاهداً لوضع أسس جديدة لفلسفة التطور التي سترتبط فيما بعد بكتاب داروين الشهير "أصل الأنواع"، والذي ينسب إليه اليوم إنه أول من قال بمفهوم التطور، فيما الحقيقة أن داروين كان أول من جعل لنظرية التطور أسساً علمية، وكان مؤلفاه الشهيران "أصل الأنواع" و "نشأة الإنسان" هما اللذان رفعا في نهاية الأمر راية المنهج التطوري، فلم يكن داروين نفسه فيلسوفاً، وإنما اكتفى بأن ترك لغيره استخلاص النتائج الفلسفية لفروضه العلمية.

يكتب داروين في مذكراته الشخصية: "صادف أن كنت أقرأ قبل أيام مقالة هربرت سبنسر عن فرض التطور وكنت مستعداً استعداداً جيداً لتقييم الصراع من أجل البقاء، والذي يستمر في كل مكان لفترة طويلة من المراقبة المستمرة لعادات الحيوانات والنباتات، وحينها خطرت لي فكرة إنه في ظل هذه الظروف تنحو الاختلافات المفضلة أن يُحتفظ بها في حين تُدمّر غير المفضلة منها، والنتيجة ستكون أنواعا جديدة «.

كرس سبنسر حياته التي تجاوزت الثمانين عاماً لتنقيح فلسفته في التطور، وعانى طوال حياته من سوء صحته، وكانت مثابرته برغم كثرة أمراضه أمر يدعو الى الدهشة، وقد استطاع أن يتغلب على عجزه عن طريق ذاكرته الغريبة، وعن طريق قدرته على التركيز بصورة فعالة. لقد كان لديه عقل منطقي غير عادي ورسم الخطة العامة لمذهبه في فترة مبكرة من حياته ونادراً ما كان يغير آراءه في الموضوعات الأساسية، توفي في الثامن من كانون الثاني عام 1903 بعد إصابته بمرض تصلب الشرايين. وقد تجاهلت الحكومة خبر وفاته بسبب معارضته لحرب البوير التي نظر إليها على إنها تعبر عن القوة العسكرية البريطانية الغاشمة والتي كان يكرهها كثيراً، فقد كان يرى إن التقدم الحقيقي للبشرية يكمن في الانتقال من التحرر بالقوة الى التحرر بالإقناع، وهو يرى إن مثل هذا لايتحقق إلا باعتماد العلم بديلاً للخرافات.

manarat
www.almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

منارات
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

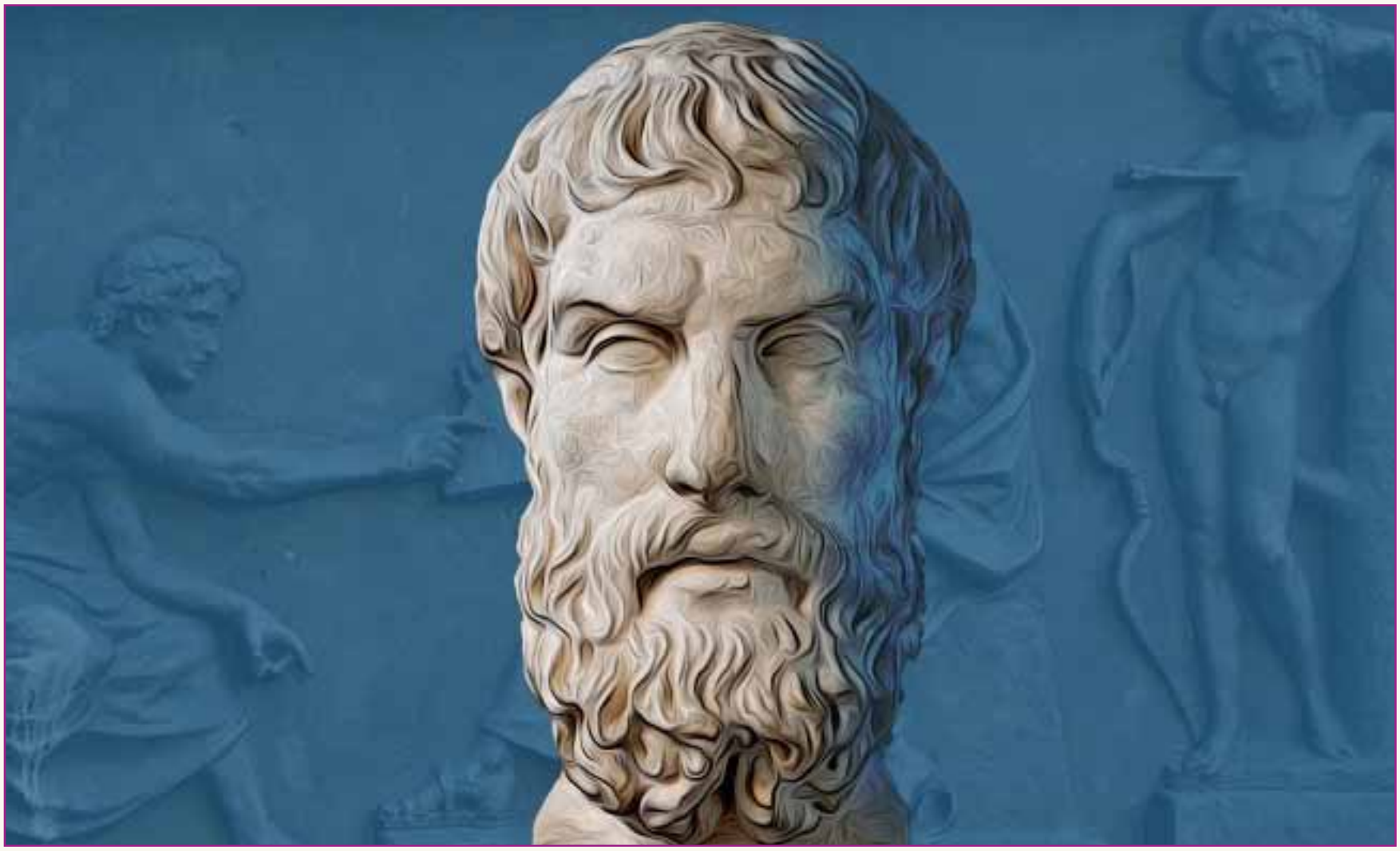

أبيقور والمأدبة الفلسفية

كه يلان محمد

تبدلُ فلسفة أبيقور زاوية النظر إلى النشاط الفكري ولن يكونَ الغرض من التفلسف هو التعلم كيف نموت فحسب؟ بل تفتحُ مجالاً لإعادة ترتيب الأوراق على المستوى الذهني بحيثُ يكونُ العقلُ أكثرَ رشاقة في التأمل دون أن تفسده شبكة الأوهام، وتبدأ عملية إصلاح حياة الفرد ونمط معيتشه من تغيرِ تفسيره للظواهر الوجودية، وتحديد العوامل التي تزيدُ من الشعور بالخوف، والتوتر.

ومن المعلوم بـأنَّ أبيقور قد رفضَ الإيمان بالخوارق لفهم ماتشهدهُ الطبيعةُ من التحولات والتقلبات ومايعشيهُ البشر من الأزمات المرهقة إذن فالأولوية في مأدبة أبيقور الفلسفية هي للتشكيلة الذهنية ومنظومة التفكير.ومايقضُ مضجعَ الإنسان بالاستمرار هو الموت وبحثه عن العزاء لهذا القدرَ المحتوم يقولُ لاروشفوكو بأنَّ شيئين لايمكنُ التحديق فيهما الشمس والموت فعلا أنَّ الالتفاف على الموت بالطقوس والروايات الأسطورية والأمل بفرصة أخرى من الوجود لعبةُ مجازية يلجأ إليها الإنسانُ هروباً من العدم الذي يعقبُ دورة الحياة.غير أنَّ هذه اللعبة بخلاف غيرها من الألعاب قد لاتكون مرحةً ولاتكسبُ النفسَ مرونة بقدر ما تصيبها بالتشنج. لذلك يبدوُ بأنَّ مايضطلعُ به أبيقَور هو تداوي النفوس من السقم الذي تشتدُ مفاعليها كلما زاد الخوف من الموت،ومايرافق هذه الحالة من الأفكار المسكونة بالنزعة الإقصائية والتوتر العصابي.والإنسان بطبعبه يتخيل الموتَ أكثر مما يتعقَّلهُ ويدركهُ حسب رأي الكاتب التونسي جلال الدين سعيد يعالجُ الأخيرُ في مؤلفه "فلسفة أبيقور" مشكلة الموت من منظور أوسع مُتابعاً ماينقلهُ لوكريس على لسان أبيقور بـأنَّ الأجدرَ بالإنسان أن لاتشغله المرحلة التي ستعقبُ موته كما لايفكر في الدهر الذي سبق وجوده.وبدورهِ يرى شوبنهاور بأنَّه لو كان خوفنا من العدم أمراً معقولاً لفاق خوفنا من عدمنا الماضي على العدم في المستقبل.

الخوف من الموت متأصلُ في طبيعة الإنسان وهو عاملُ وراء نشوء الخرافات والأساطير إذ على الرغم من وجود نهاية محتومة تنسحبُ على مصير الجميع.فإنَّ ذلك لم يخفف من صدمة الموت.كأنَّ بالمرءِ لايستوعبُ بـأنَّ المياه ستجري تحت جسر الحياة بعده وهذا ماعبرَ عنه نجيب محفوظ على لسان إحدى شخصياته في قصة "فنجانِ شاي" عندما تقول " أكادُ أجنُ كلما تصورتُ أنَّ العالمَ سيمضي في طريقه عقب اختفائي" يستجلي منطوقُ الكلام مايؤرقُ الكائن الفاني ويرفع اللثام عن الوهم المسَكون في أعماقه والأنانية المضروبة بجذورها في سرائر النفس التائقة للخلود. والحال كذلك ماذا يعوضُ هذه الرغبة التي لاتتحققُ؟ ألا تفسدُ العاقبة المعلومة متعة الحياة؟ وبالتالي يكونُ من الحكمة التفكيرُ في المآل والإقرار بأنَّ الحياة متاعُ قليل؟ هل يتمثل الخيار الأمثل في الانضمام إلى التيار الهيجسياسي نسبة إلى الفليسوف المتشائم هيجسياس الملقب بالناصح بالموت الذي كان معاصراً لأبيقور واحتقر ملذات الحياة لأنها خاطفة ولاتدوم.؟ صحيح أنَّ مايعيشهُ الإنسان ليس إلا لمحةً قياساً بسعة الكون والمساحات اللامرئية.لكن مع ذلك فمن الجحود القول أمام الخيرات المفقودة طبعاً إذا اعتبرنا الخلود خيراً "انظروا عاقبة حياة طويلة" حسب صياغة أبيقور.وبما أنَّ اللذة هي الخير الأسمى برأي فيلسوف الحديقة والموتُ يمنعهما من الإستمرار فإنَّ خشية الإنسانُ مَن الموت ورغبته في لذة خالدة مفهومة.غير أنَّ أبيقور يمضي في التأكيد على أنَّ الرغبة في الخلود ليست أمراً طبيعياً لأنَّ الطبيعة لاتناقضُ نفسها وتضعُ مبدأً يستحيلُ تحقيقه.كما أنَّ حظوة السعادة ليست منوطةً بالخلود والأهمُ في اللذة ليس الإستمرار والديمومة بل الغزارة والكثافة "كما أن الحكيمَ لايختارُ الطعامَ الأوفر وإنما الطعام الألذ فهو كذلك لايرغبُ في التمتع بطول العمر وإنما برغد العيشِ".

يوافقُ موقف فيورباخُ مع هذا الرأي واصفاً الرغبة في الخلود بالزيف والأباطيل والأزلية تتجلى في كل لحظة من لحظات الزمن وفقِ نظرته.ومن جانبه يرى كامو بـأنَّ فكرة الموت تعمقُ من الإدراك للحياة بحيثُ يكونِ الاستغراق في الحاضر تذوقاً للأبدية. وبهذا يسلك مؤلفُ "الغريب" منحىً أبيقورياً في نظرته للحياة وفرصة التلذذ بالطبيعة والتماهي معها وتتجلى حقيقة ذلك في كتابه "أعراس" هناك في الوجود المحسوس تنبسطُ المشاهد المشحونة بالفرح ويتعانقُ في معطيات الطبيعة مباهج التأملِ وإمكانية التذوق.ومن الواضح أنَّ اللذة هي مبدأ أساسي في فلسفة أبيقور ولاينطلي على الناظر لأثره وجود تضارب فيما يقولهُ بهذا الشأن إذ أورد جلال الدين سعيد في كتابه المشار إليه سلفاً مايؤكدُ هذا الملمح في نصوص أبيقور فمن جانب يخبرُ بأنَّ مبدأ كل خير وقاعدته هو لذة البطن ويصرحُ بأنَّه لاوجود لخير خارج اللذة الحسية وينقل عنه من جانب آخر قوله بأنه ينافس الآلهة في سعادتها لو توفر لديه قليل من الخبز والماء.ويبدو أنَّ أبيقور كان شخصاً مثيراً للجدل لذلك اختلفت الآراء والمرويات حول مباديء فلسفته ورؤيته لمصادر المعرفة يشيرُ سعيد إلى أنَّ أحد أتباع المدرسة الرواقية كتبَ خمسين رسالة مسيئة ونسبها إلى أبيقور.

أيا يكن الأمر فإنَّ مايجمعُ بين الأبيقورية والرواقية هو تحقيق الأتاراكسيا "الطمأنينة" غير أنَّ الطمأنينة لدى أتباع زينون هي حصيلة الوعي بانضمام عقل الإنسان إلى اللوغوس الألهي بينما ترتبطُ الطمأنينة الأبيقورية بالتغلب على الرغبات اللامحدودة والوعي بما هو مهلك منها وتقعُ من بين الحكم المنسوبة إلى أبيقور على مايفيدُ بـأنَّ العقلَ وليس الزمن يحددُ نسبة التذوق باللذة "يتضمنُ الزمنُ اللامحدود نفس النسبة من اللذات التي يتضمنها الزمن المحدود شريطة أن نقيس حدوده بالعقل" يكملُ البعدُ الطبيعي في فلسفة أبيقور المسلك العملي فإنَّ الهدف من معرفة طبيعة الكون هو قطع الطريق على الخرافة ومعالجة الخوف وعدم الانسياق وراء التخمينات الباطلة يقول لوكريس وهو قد دون فلسفة أبيقور في قالب شعري "إنَّ العلمَ الذي يبحثُ في نظام الأجرام السماوية من دون أن يحررنا من الخوف الذي تحدثه فينا ليس علماً قادراً على أن يقودنا إلى السعادة".ومردُ هذا الاهتمام بتحسين التفكير في المدرسة الأبيقورية هو القناعة الكاملة بأنَّ نمط معيشتنا واختياراتنا ليس إلا صورةً معبرةً عن تكوين الآراء والأفكار "ليس البطنُ الذي لايشبع،مثلما يعتقدُ الجمهور،وإنما هو رأينا الباطل عن قدرته اللامحدودة" كان أبيقور في نظرته إلى الكون ونشوء الحياة أقرب إلى الذريين وقد حضر دورس نوزيفان الذي تتملذ على "ديموقريطس" وتتقاطعُ رؤية أبيقور مع ماتوصلت إليه الفيزيا الكوانتية عن خضوع عالم الذرة إلى اللاحتمية. ومايجدرُ بالإشارة أنَّ الحواس هي مصدر المعرفة في المنطق الأبيقوري.لأنَّ الإحساس سابق للعقل.والغاية من كل ما يقدمهُ أبيقور في فلسفته الحسية تتمثل في صرف الانتباه إلى ضرورة التعقل وعدم التعلق بمفهوم الخلود الذي يقوم على الاحتمال والتأجيل لذلك فإنَّ التحول إلى السعادة على التو هو جوهر التفلسف.وهذا مايعيدُ إلى ذهن كلام كامو "أودَّ ألاَّ أتخلَّى عن غناي الحاضر».

يكتسبُ الانسانُ في رحاب الفلسفة متعة العيش ومتعة التفكير في آن واحد.لأنَّ حياتهُ لايخالطُها التوتر المرضي بفعل عامل الخوف ولا ينجرفُ مع الصيحات المبشرة بتحقيق الأحلام الموعودة، أكثر من ذلك فإنَّ فضيلة الاعتدال هي من صميم الاشتغال الفلسفي وذلك يعني التمكن من الفصل بين الجوهري والقشور في الظواهر والأفكار الرائجة وحماية العقل من طوفان المؤثرات الخارجية.والأهم من كل ماسبق ذكره أنَّ التفلسف أبعدُ مايكون عن التقيد بتيار معين لذلك فمن المباح أن تنتقل بين موائد الفلاسفة وتقتات منها كما تشاء وذلك لايشين إليك أبداً ومايجبُ الإشارة إليه في هذا المقام أنَّ الفلسفة قبل أنَّ تكون تقليداً أو صرعة فكرية هي تذوق وتأمل ولا يشهدُ المسار الفلسفي تطوراً نوعياً إذا لم تتمَثل الذات لمتطلباته الجوهرية وهي النقد والتفكيك وإعادة التركيب. فما تضمهُ الكتب هي الأفكار قد تزيدك علماً أما أن تكون حكيماً فذلك لايتحققُ إلا بفضل نفسك حسب رأي مونتاني.